الاعجاز البياني

دراسة تحليلية بلحاظ رؤية عالم سبيط النيلي

المدرس الدكتور
لواء حميزة كاظم العياشي
جامعة الكوفة/ كلية الفقه
lewaah.al-aeshea@uokufa.edu.iq

The graphic miracle, "an analytical study, the vision of the scientist of Nile squid."

Lect. Dr.
Liwa Hamiza Kazem Al-Ayashi,
University of Kufa / Faculty of Jurisprudence

الملخص: -

يعد عالم سبيط النيلي من علماء العراق من مدينة الحلة، وقد تحدث عن نظرية أثارت أراء علماء آخرين؛ لغرابتها فيما علق في الذهن الجمعي، ومن جملة هذه الآراء التي قال بها أنه أنكر وقوع المجاز في اللغة العربية، وأنكر وقوع الاستعارة، وكذلك أنكر وجود الكناية في القرآن الكريم.

وأوعز ذلك إلى أسباب منها: استقلال كل لفظ بمعنى، وأن الصيغة الصرفية للمفردة العربية تؤدي معنى لا تؤديه صيغة أخرى للمادة نفسها. وكذلك أن التركيب النحوي للجمل العربية يعوض بتركيب آخر مطلقاً، فأن نقص منه مفردة أو زاد عليه سيعطي معنى آخر.

الكلمات المفتاحية: المنهج اللفظي، القصدية، الاعتباطية، المجاز، الاستعارة، الكناية.

Abstract: -

The scholar of Sabit al-Nili is an Iraqi scholar from the city of Hilla, and he has spoken of a theory that has aroused the opinions of other scholars; For its strangeness in what was commented on in the collective mind, and among these opinions he said that he denied the occurrence of metaphor in the Arabic language, and denied the occurrence of metaphor, as well as denied the existence of metonymy in the Holy Quran.

This was attributed to reasons including: the independence of each term in a sense, and that the morphological form of the Arabic term performs a meaning that no other formula of the same article does. Likewise, the syntactic syntax of the Arabic sentences is completely compensated by another syntax, as a lack of it is single or more than it will give another meaning.

Key words: verbal method, intentionality, arbitrariness, metaphor, metaphor, metonymy.

المقدمة:

قال تعالى في محكم كتابه ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن: ٤)، وعن النبي محمد ﷺ قال: (إن من البيان لسحرا) (كنز العمال: المتقي الهندي، ٥٨١/٣). فالبيان مهم في الدراسات القرآنية؛ لإنة لغة العرب الذين نزل عليهم القرآن متحديا بإن يأتوا بمثله وذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨)، وإن البيان يصقل العقل نحو مكنونات التعبير، وقيمته الفنية والدلالية. فالبيان يظهر للفرد ما اكتنزته الأبنية القرآنية من معاني ودلالات كامنة في السياق القرآني، ليحصل بها العلم في معرفة مراد الله تعالى وتشريعاته وأحكامه؛ ومن هذا المنطلق كان عنوان البحث (الاعجاز البياني دراسة تحليلية بلحاظ رؤية عالم سبيط النيلي) فقد تكرس البحث على أربعة مطالب فكان الأول منها بعنوان (نبذة تاريخية عن حياة عالم سبيط النيلي)، اما المطلب الثاني فقد تكرس بعنوان (المجاز في القرآن الكريم بلحاظ قصدية النيلي) فقد تمحور على دراسة مفهوم المجاز في اللغة والاصطلاح ورأي العلماء في المجاز ووقوعه وامثلة تطبيقية، وفي المطلب الثالث شرع البحث بدراسة مفهوم الاستعارة وامثلة تطبيقية عليها فكان عنوان هذا المطلب (الاستعارة في القرآن الكريم بلحاظ قصدية النيلي)، والمطلب الرابع كان بعنوان (الكناية في القرآن الكريم بلحاظ قصدية النيلي) وتمحور على دراسة مفهوم الكناية وامثلة تطبيقية على ذلك.

وقد اتبعت هذهِ الدراسة منهجاً تحليلياً نقدياً.

وإذا كانت طبيعة كل بحث علمي أن يعتمد على جملة من المصادر والمراجع فالباحثة يمكن أن أقول بأني قد أفدت من مصادر كثيرة كان أهمها (الاتقان: السيوطي، اسرار البلاغة: الجرجاني، التبيان: الطوسي، ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، أصول البيان في ضوء القرآن: الصغير، الحل القصدي للغة: عالم سبيط النيلي، النظام القرآني: عالم سبيط النيلي). وفي الختام أقول أن هذا الجهد هو هدية لسيدي ومولاي النبي الأعظم ﷺ الذي نرجو شفاعته يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون فهذا جهد مقل ونتاج مبتدئ.

المطلب الأول

التعريف بـ(عالم سبيط النيلي)

أولاً: اسمه وولادته: [١]

فالنيلي نسبة الى مدينته التي ولد وعاش فيها، واسمه عالم سبيط النيلي المعموري، وبسبب غرابة اسمه واسم أبيه لأنهما من الأسماء النادرة يتخيل أنهما اسما الشهرة. إلا أنه ظل يتنقل في أوساط المثقفين.

ولد عالم سبيط النيلي عام (١٩٥٦م) في منزل ريفي في قرية الصياحية على مسافة (٥٠٠٠م) شرق بوابة عشتار التاريخية، بمكان يدعى (السورة) تابع لناحية النيل الواقعة شمال مدينة الحلة الحالية.

ثانياً: حياته: [٢]

نشأ عالم سبيط وترعرع بين أفراد عائلة مشبعة بالحس الديني الفطري، كان والده شاعرا حسينيا شعبيا. دخل المدرسة الابتدائية في العام الدراسي (١٩٦٢م) ولاحظ معلم الصف الأول في الابتدائية أن الطفل عالم يمتلك ذكاء نادرا وفطنة عالية مما جعله الأول على أقرانه خلال سني الدراسة.

وأكمل دراسته المتوسطة والإعدادية في ثانوية الفيحاء في الحلة ليتخرج عام (١٩٧٥م) وكان من الأوائل في الامتحان الوزاري بمعدل ٩٥٪ .

استطاع (عالم سبيط) خلال ست سنوات الحصول على شهادة الماجستير في الهندسة الالكترونية وكان ذلك ضمن بعثة الى الاتحاد السوفيتي السابق على حساب وزارة الدفاع وفي الوقت ذاته تمكن من المطاولة في المناظرات. وكابد عناء عقائديا مستديما في مواجهة أكابر المنظرين المادين في الاتحاد السوفيتي. ودخل معهم في مناقشات فلسفية عامة مسلحا بدراية نقدية مبكرة لمجمل الفكر الغربي حصلها من دراساته ومطالعاته المكثفة منذ أيام صباه.[٣]

عاد الى العراق ليتعين بدرجة ملازم أول مهندس في المؤسسة العلمية العسكرية حتى تقاعد بدرجة (مقدم مهندس).

وبعد عودته تزوج وصار لديه عائلة تتكون من زوجته الطبيبة البيطرية سناء حبيب الخياط وبنتين وولد. إلا أن الفراغ غير الاختياري بسبب وفاة زوجته التي أصيبت بمرض العضال ومن ثم انتقال الأولاد الى بيت أخوالهم ولمدة خمس سنوات مهد له الطريق لدراسة القرآن وعلوم اللغة العربية. ولعل دراسة الفيزياء الالكترونية قد حفزته على الانتقال من وحدة مفردة الى قيمة الحرف وفيزيائيته ومعناه ودلالته الحقيقية.(٤)

تزوج بعد ذلك من السيدة إنعام علي عمران التي عاشت معه السنة الأولى مرتبكة لصعوبة التعامل مع هكذا إنسان. الا أنها استطاعت أن تتجاوزها وصارت سكرتيرة وزوجة. توفي عالم سبيط في ٢٠٠٠/٨/١٨م. عن عمر بلغ (٤٤) سنة.(٥)

ثالثاً: مؤلفاته: (٦)

١ ـ البحث الأصولي بين عقل الإنسان وحكم القرآن، فهو نقد عنيف للعملية الأصولية عند الفكر الأصولي.

٢ ـ الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية، كتاب في نقد الاعتباطية والقول في القصدية ونقد كتابي الجرجاني (اسرار البلاغة ودلائل الإعجاز).

٣ ـ الشهاب الثاقب المحتج لكتاب الله في الرد على الناصب أحمد الكاتب.

٤ ـ أصل الخلق بين الأنا وبين الولاية والتوحيد: ذكر أنه في نشأة الإنسان على ضوء كتاب الله.

٥ ـ الطب القرآني، وهو كتاب كبير فيه مباحث جمة عن كيفية التداوي الطبي الجسدي والنفسي بكتاب الله من خلال أحاديث الأئمة (عليهم السلام).

٦ ـ القرآن الكريم في رحلة الكشف وحوارية الكفر والإيمان، يتحدث فيه عن بعض المفاهيم القرآنية وكيفية توصله الى فكرة النظام الهندسي المحكم في كتاب الله.

٧ ـ اللغة الموحدة، كتاب يؤسس لنظرية جديدة في علم اللغة العام على مبدأ القصدية في البنية النحوية والردّ على الاعتباطية.

٨ ـ المحاضرات القصدية، هي مجموعة من المحاضرات التي ألقاها في مناسبات متعددة.

٩ ـ النظام القرآني، فيه أسس وقواعد المنهج اللفظي لأجل التعامل الحق مع كتاب الله.

١٠ ـ طور الاستخلاف دراسة في مستقبل الجنس البشري حتمية الطور المهدوي في ضوء القرآن والسنة.

١١ ـ ملحمة جلجامش والنص القرآني، يتحدث فيه عن وحدة الشخصيتين جلجامش وذي القرنين في ضوء اللغة والعلم.

١٢ ـ نجوم القرآن المبين في ولاية أمير المؤمنين.

١٣ ـ وجوب الشهادة الثالثة.

المطلب الثاني

المجاز في القرآن الكريم بلحاظ قصدية النيلي

أولاً: المجاز في اللغة والاصطلاح:

المجاز في اللغة: هو مصدر ميمي من الفعل جاز يجوز، وجاز الشيء يجوزه اذا تعداه. وجزت الطريق وجاز الموضع: سار فيه وسلكه.(٧)

أما في الاصطلاح: هو أن يعدل اللفظ عما يوجبه أصل اللغة.(٨) بمعنى أن يؤخذ لفظ معنى معين ويريد به معنى آخر غير المعنى الأول فيكون عدل باللفظ من معناه الأول (الأصل) الى معنى آخر (المجاز).

وعرف السكاكي (ت: ٦٢٦هـ) المجاز بقوله: (هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالا في الغير، بالنسبة الى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن أرادة معناه في ذلك النوع).(٩)

ثانياً: مفهوم المجاز والحقيقة

الحقيقة هي ما وضع من القول موضعه في اللغة، حسنا كان أو قبيحا.(١٠) ويمكن أن نقول أيضا الحقيقة هي كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع وقوعا لا يستند فيه الى غيره.

أما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة أنها تستند في

الجملة الى غير هذا الاستناد يقوي ويضعف.[١١]

وفرق ابن جني بين الحقيقة والمجاز بقوله: (الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة. والمجاز ما كان بضد ذلك).[١٢]

وقال السيوطي في الحقيقة والمجاز: (فما يوصف بأنه حقيقة أو مجاز باعتبارين هو الموضوعات الشرعية كالصوم والصلاة...، فإنها حقائق بالنظر الى الشرع، مجازات بالنظر الى اللغة).[١٣]

فلا خلاف أن كتاب الله يشتمل على الحقائق، وهي: كل كلام بقي على موضوعه، والآيات الناطقة ظواهرها بوجود الله تعالى وتوحيده وتنزيهه، والداعية الى أسمائه وصفاته.[١٤] منها:

قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[١٥]. وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[١٦].

ثالثاً: المجاز في القرآن.

اختلف علماء المسلمين بوقوع المجاز في القرآن، بين منكر ومؤيد وانقسموا بذلك على قسمين:

القسم الأول: أنكر جماعة من الشافعية وجماعة من المالكية وابو مسلم الاصبهاني من المعتزلة وجود المجاز في القرآن. وشبهتهم أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة الى المجاز الا اذا ضاقت به الحقيقة أن المجاز أخو الكذب. فمن المستحيل على الله سبحانه وتعالى أن تضيق عليه الحقائق[١٧].

القسم الثاني:

ادعى القسم الثاني وجود المجاز في القرآن وأدلتهم هي:

١- لو وجب خلوّ القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف، وتثنية القصص وغيره، ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطره الحسن.[١٨]

٢- قول عبد القاهر الجرجاني: (ومن قدح في المجاز، وهم أن يصفه بغير الصدق فقد

خبط خبطا عظيما ويهرف (يهذي) لما لا يخفى).[١٩]

٣- قول الدكتور الصغير: (ثبت وقوعه (المجاز) دون أدنى شك في كوكبة متناثرة من ألفاظه (القرآن) تعد في القمة من الاستعمال البياني).[٢٠]

وهنالك عدد من العلماء وافق على رأي الجرجاني في المجاز وأقسامه ووقوعه في القرآن. الا أن في القرن الخامس عشر الهجري جاء عالم سبيط بنظرية (المنهج اللفظي) الرافضة لوقوع المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية ورفض وجود التقديم والتأخير والترادف والحذف وما الى ذلك وقال بالقصدية ورفض الاعتباطية في القرآن الكريم، والذي امتاز به عالم سبيط عن سابقيه، تقديمه أسباب رفضه وكانت ضمن قواعد.

فبدأ (عالم سبيط) بإبطال المجاز من التعريف وتدرج الى إيراد أمثلة قرآنية وقام بمناقشتها بقاعدة المنهج اللفظي ونصها: (لا يجوز الاعتقاد بوجود مجاز في القرآن بكافة أقسامه ويعدّ شرح التراكيب بهذه الطريقة باطلا وفق هذا المنهج).[٢١] ثم أورد (عالم) تعريفات العلماء في المجاز وناقشها.[٢٢]

تعريف ابن الأثير: المجاز في اللغة هو: (ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة).

تعريف الجرجاني للمجاز في الاصطلاح هو: (المجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه اذا تعداه. واذا عدل باللفظ عما يوحيه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه اولا).[٢٣]

لو تمعنت في التعريفين جيدا وجدت في تعريف

ابن الأثير: ما أريد به غير المعنى .... في أصل اللغة

الجرجاني: اذا عدل باللفظ عما يوحيه أصل اللغة

بما أن التعريفين متقاربان بالمعنى يمكننا أن نسجل نقطتين:

١- إن اللفظ يصبح مجازا عندما يعطي معنى غير المعنى الأصليـ أصل اللغة أو الاصطلاح للفظ.

٢- يؤمن أهل اللغة بتعدد المعاني للفظ الواحد.

إذن حدث تناقض في قواعدهم فوجود معنى أصلي للفظ يبطل تعدد المعاني. فأما أن نقول ليس هناك مجاز؛ لأن اللفظ يحمل معاني متعددة أو نقول بالمجاز وعندها نبطل تعدد المعاني فقال عالم سبيط: (اللفظ عندهم له (عمليا) معان متعددة. ولكن حينما يبحثون عن (مجازات) يجعلون المعنى الاصطلاحي أصلا... بينما المعنى الاصطلاحي هو أول المجازات).[٢٤]

والله العالم

ومثال على المجاز في القرآن قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[٢٥] في بادئ الأمر يجب أن نعرف المعنى اللغوي لكل من (تؤتي، إذن، إرادة) لحاجة المناقشة لمعانيها.

أتى: الإتيان: المجئ. وأتى: أتيته - جئته.[٢٦]

وأذن: أذن بالشيء أذنا وأذانه: علم، بإذن الله، معناه بعلم الله.[٢٧]

والإرادة: هي العزم على الفعل أو الترك.[٢٨]

والآن نفسر معنى الآية لدى العلماء:

قال الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ): ((تؤتي أكلها) أي تخرج هذه الشجرة- وهي النخلة- ما يؤكل منها في كل حين... و(الحين) هو الوقت، (بإذن ربها) بأمر ربها ومفاد الآية أن الله ضرب مثلا).[٢٩]

اما الجرجاني فقال: (أثبت الفعل لما لا يثبت له فعل اذا رجعنا الى المعقول على معنى السبب، وإلا فمعلوم أن النخلة ليست تحدث الأكل).[٣٠]

وقيل أيضا فيها - الآية - أن نسبة إيتاء الأكل الى الشجرة مجازية؛ لأن المؤتي هو الله تعالى، ولكن الأكل هنا حقيقة، وهو ثمرة الشجرة فكان أحد الطرفين مجازيا والثاني حقيقيا. ومجازها مجاز عقلي.[٣١]

وتفسير الكاشاني (ت: ١٠٩١م) للآية: (تؤتي أكلها كل حين) تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لأثمارها. وسئل عن هذه الشجرة؟ قيل: رسول الله ﷺ أصلها، وأمير المؤمنين عليه السلام فرعها، والأئمة من ذريتهما أغصانها، وعلم الأئمة ثمرها، وشيعتهم المؤمنين ورقها. (تؤتي أكلها كل حين) ما يخرج من علم الإمام إليكم في كل سنة من كل فج عميق.[٣٢]

وجاء في الصورة الفنية: (يتحقق المجاز لكون الفاعل غيرها وإسناد الفاعلية الى الجماد مما يحقق الاستعمال المجازي).[٣٣]

فتفسير الشيخ الطوسي والكاشاني تفسير خالي من المجاز، والمثل الذي قال به الشيخ انما هو مثل حقيقي وليس مجاز. وما قاله الكاشاني بأن الشجرة هي أهل البيت وشيعتهم، فهو تفسير يدخل ضمن التفسير الباطني للقرآن وهو لا يعلمه الا الله وأهل بيته، والله العالم أن يكن هو المراد أم لا.

وتعليقاً على قول الجرجاني: (أثبت الفعل لما لا يثبت له فعل اذا رجعنا الى المعقول...). معلوم لدينا أن الشجرة على وجه الخصوص وعالم النبات على وجه العموم لديها أفعال فهي كائن حي كبقية الأحياء تتنفس وتمتص الماء والأملاح وتصنع غذاءها وما الى ذلك من عمليات بسيطة ومعقدة نعلمها ولا نعلمها وذلك لديمومتها وانما آلية الحياة هذه لدى الشجرة أنما تحدث بإذن من الله. فان كان اكتشاف أن الشجرة كائن بعد الجرجاني ولم يكن لديه علم فيكون العذر معه لعدم علمه بذلك ولأن القرآن متصف بالتجدد.

وتعليقاً على قول الأستاذ الدكتور الصغير ((تؤتي أكلها كل حين) هي مجاز عقلي). ويتحقق المجاز عنده بإسناد الفاعلية الى الجماد. نقول: إن الدكتور الصغير من خلال ما يتبين من قوله أنه ينسب الشجرة الى الجماد، وهي كائن حي كما هو معروف لدى الجميع. فالله القديم وما عداه المحدث وهو خالق ما كان وما يكون وأودع سره في خلقه فهيئ أسباب الحياة لمخلوقاته كما في قوله تعالى بقصة ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[٣٤]. وهو الذي يقدر الأرزاق وانما مثل إيتاء الشجرة لأكلها كالإنسان، يأتي أكله بنفسه ويكون ذلك الإيتاء بإذن الله وتقديره.

أما قول عالم سبيط فهو[٣٥]:

١- ثبات الفعل لا علاقة له بالمنشأ ومصدر الأفعال الأول.

٢- لفظ (بإذن ربها). فيه دلالة أكيدة على فاعلية الشجرة وإنها تؤتي أكلها والإيتاء من فعلها ولكنه بإذن ربها، ولا يأتي لفظ (الإذن) الا مع ما هو فاعل بذاته. ولو كان مجرد واسطة لنقل الإيتاء لقال (بإرادة ربّها).

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٣٦]. ففاعل الإذن في الآية هو فرعون.

وقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[٣٧] جاءت (أذن) أيضا مع ما هو فاعل وهو لفظ الجلالة (الله)

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[٣٨].

المطلب الثالث

الاستعارة في القرآن الكريم بلحاظ قصدية النيلي

أولاً: مفهوم الاستعارة:

الاستعارة في اللغة: أصلها عور، والعارية بالتشديد كأنها منسوبة الى العار؛ لأن طلبها عار وعيب. واستعار ثوبا فأعاره إياه واعتوروا الشيء تداولوه فيما بينهم.[٣٩]

الاستعارة في الاصطلاح: عرف الرماني الاستعارة قائلاً: (تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة).[٤٠] وقال الجرجاني(ت: ٤٧١هـ) في الاستعارة: (هي ادعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء).[٤١]

بينما السكاكي (ت: ٦٢٦هـ) عرف الاستعارة بقوله: (هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيا دخول المشبه به في جنس المشبه، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به).[٤٢]

ويقال في الاستعارة أيضا: (هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابه بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صادقة عن إرادة المعنى الأصلي).[٤٣]

وانقسم العلماء في وجود الاستعارة في القرآن بين منكر ومؤيد وسبب انكارهم بناء على إنكار المجاز. اما المؤيدون لوقوع الاستعارة فالسيوطي يلخص رأيهم بقوله: (إطلاقها في القرآن؛ لأن فيها إبهاما للحاجة ولأنه لم يرد في ذلك إذن من الشرع وعليه القاضي عبد الوهاب المالكي، وقال الطرطوشي إن أطلق المسلمون الاستعارة فيه أطلقنا وأن امتنعوا امتنعنا).[٤٤]

ثانياً: رأي عالم سبيط في الاستعارة

أبطل (عالم) وجود الاستعارة في القرآن بقوله: (لا يجوز للباحث الاعتقاد بوجود تشبيه استعاري في القرآن الكريم ولا تشبيه فيه سوى التشبيه الحقيقي).[٤٥]

لم يوضح (عالم) ما قصده من (التشبيه الاستعاري). لكن على ما يبدوا أنه أراد من هذه العبارة هو أن يشبه معنى لفظ من لفظ آخر من باب الاستعارة.

وأورد (عالم سبيط) تعريفات للاستعارة لابن الأثير وابن المعتز وثعلب وتعريف للرماني، فردّ عليها قائلا: (القرآن لا ينقل المعنى من لفظ الى لفظ،... ولا يعلق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة لغرض الإبانة وروحها،... وأما التشبيه الذي في القرآن فهو تشبيه حقيقيّ بين الشيء ومثل الشيء).[٤٦]

ثالثاً: مثال قرآني على الاستعارة

قال تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾[٤٧].

قال الشريف الرضي: (وهذه استعارة؛ لأن حقيقة الذوق انما تكون في المطاعم والمشارب لا في الكسي... وانما قال سبحانه وتعالى لباس الجوع والخوف ولم يقل طعم الجوع والخوف؛ لأن المراد - والله أعلم - وصف تلك الحال بالشمول لهم والاشتمال عليهم كاشتمال الملابس على الجلود؛ لأن ما يظهر من سوء الأحوال وشحوب الألوان وضالة الأجسام كاللباس الشامل لهم والظاهر عليهم).[٤٨]

وقال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) في كشافه: (اما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا... فيقولون ذاق فلان البؤس... شبه ما يدرك من اثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ والبشع، واما اللباس فقد شبه به لأشتماله على اللابس ما غشي الإنسان).[٤٩]

ردّ النيـلـي:

ردّ (عالم) على قول الشريف الرضي قائلا: (انه حسب للجوع طعما وظن أن (لباس الجوع) استعارة بدل اللفظ الحقيقي الذي هو (طعم الجوع) ذاهلا عن أن الجوع هو شعور، فإذا وافق لفظ (طعم)؛ لأن لفظ (طعم) لما يؤكل -على معناه الأصلي الذي ظنّه هو- فكيف يستعمله مع الجوع الذي هو الحرمان من الأكل؟.).[٥٠]

وردّ على قول الزمخشري: (هل زالت عنها الاستعارة بإضافة (ما غشيهم) بدلا من (لباس)؟ أم أنه ظنّ أن اللفظ (ما غشيهم) قد أضاف شيئا محسوسا فأمكن أن يذاق وأن يلبس؟).[٥١]

وملخص الردّ على القول بالاستعارة: إن اللفظ يعطي المعنى اللغوي في استخداماته المتعددة وليس الأصل هو الاصطلاح وما عداه مجاز واستعارة.

المطلب الرابع

الكـنايـة في القرآن الكريم ورأي النيلي

أولاً الكناية في اللغة والاصطلاح:

الكناية في اللغة: الكناية من كنى – يكني، وأصله كنى والكناية يعني أن تتكلم بشيء وتريد به غيره.[٥٢]

الكناية في الاصطلاح: عرف السكاكي (ت: ٦٢٦هـ) الكناية (هي ترك التصريح بذكر الشيء الى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور الى المتروك).[٥٣]

وهناك تعريف آخر للكناية هو: أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة.[٥٤]

والفرق بين الكناية والمجاز الأول يراد منه المعنى الأصلي للفظ، و هو عكس الثاني. الذي لا يراد به المعنى الأصلي.[٥٥]

ثانياً: رأي عالم سبيط للكناية في القرآن

رفض (عالم) وجود الكناية في القرآن كرفضه للمجاز والاستعارة ونص على ذلك قائلا: (لا يجوز للباحث الاعتقاد بوجود كناية في القرآن ويتوجب عليه معرفة حقيقة معنى

اللفظ المستعمل في الكناية المزعومة).[٥٦]

وأضاف قائلا: (الكناية لا تختلف بشيء عن الاستعارة... والمنهج اللفظي يرفض التسليم بوجود كناية في القرآن لنفس الأسباب المارة في القواعد السابقة... والقرآن قد يشير الى شيء خفي ولكن ذلك ليس من الكناية في شيء).[٥٧]

ثالثاً: مثال على الكناية في القرآن[٥٨]:

وردت في القرآن الكريم ألفاظ متعددة قالوا في جميعها أنها كناية عن الجماع ونأخذ لفظين منها (حرث ورفث) وما تعني كل منهما:

قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾.[٥٩] وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[٦٠].

فكانت هاتان الآيتان بعض من كل الآيات الواردة فيها ألفاظ كناية عن الجماع، والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا كنى الله عن لفظ الجماع بألفاظ متعددة؟ هل هو الخجل والحياء؟ و هو القائل: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[٦١].

وإليك المعنى الدقيق لكل من (حرث، رفث) وإن كان فيهما معنى الجماع: فالحرث: تستخدم للأرض، يقال حرث الأرض للزراعة، وتأتي بمعنى كسب المال وجمعه، والمرأة حرث الرجل أي يكون ولده منها.[٦٢]

أما ما يحمل لفظ (رفث) من معنى هو غير ما يحمل لفظ (حرث)، قال النحاس(ت:٣٣٨هـ): (الرفث أصله الإفحاش ثم يكنى به عن الإجماع).[٦٣]

وقال الأصفهاني: (رفث: الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من الجماع ودواعيه وجعل كناية عن الجماع... وعدى (بالى) لتضمنه معنى الإفضاء).[٦٤]

فمن هنا يتبن لنا أن لفظ (حرث) حمل معنى لم يحمله لفظ (رفث). وخلاصة القول: إن في كلمة معنى خاص لا تجده في الأخرى وأن كان هناك تقارب كثير فيما بينهما. فقال (عالم): (لو وضعت أي لفظ مكان أي لفظ آخر منها لتهدم البناء الهندسي للقران).[٦٥]

ومن المؤكد أن مهما تقاربت الألفاظ في أعطاء معنى واحد فهي تختلف في دقة أعطائها ذلك المعنى أي أن كل لفظ يعطي معنى أدق من غيره.

والله العام

الخاتمة:

- كل لفظ يحمل معنى خاص به لا يقبل معنى آخر. أي أن المعنى لا يؤديه إلا لفظ واحد. اما استعمالنا للفظ في التعبير عن معاني متعددة يعود الى عدم فهمنا للحركة الجوهرية في المفردة.
- وجود معنى أصلي للفظ يبطل تعدد المعاني. فأما أن نقول ليس هناك مجاز؛ لأن اللفظ يحمل معاني متعددة أو نقول بالمجاز وعندها نبطل تعدد المعاني
- إن اللفظ يعطي المعنى اللغوي في استخداماته المتعددة وليس الأصل هو الاصطلاح وما عداه مجاز واستعارة.
- للسياق القرآني نظام خاص به ولا يخضع القرآن لقواعد موضوعة، فلا يقبل تقدير لفظ على اعتبار أنه محذوف. ولا حذف لفظ على اعتبار أنه زائد. أي لامجاز ولا إطناب ولا تقديم ولا تأخير في القرآن الكريم.
- مهما تقاربت الألفاظ في إعطاء معنى واحد فهي تختلف في دقة إعطائها ذلك المعنى أي أن كل لفظ يعطي معنى أدق من غيره،
- يرفض عالم سبيط وجود المجاز والاستعارة والكناية في القرآن واللغة.

هوامش البحث

(١) ينظر: اعلام حليون: د.مرزوك، ١١، شبكة البرلمان العام.
(٢) ينظر: اعلام حليون، ١٠.
(٣) ينظر: شبكة البرلمان العراقي، البرلمان العام.
(٤) ينظر: اعلام حليون، ١١.
(٥) ينظر: المصدر نفسه، ١٣.
(٦) ينظر: المصدر نفسه، ٢٣-٣٥، شبكة البرلمان العراقي، شبكة مقهى الكتاب والمثقفين.

(٧) ينظر: لسان العرب: ابن منظور، ٣٢٦/٥، القاموس المحيط: الفيروز آبادي، ٤٣٠.
(٨) ينظر: اسرار البلاغة: الجرجاني، ٢٩١، جواهر البلاغة: الهاشمي، ٢٥٣- ٢٥٤.
(٩) مفتاح العلوم: السكاكي، ٣٥٨، ٣٦٠.
(١٠) ينظر: الفروق اللغوية: ابو هلال العسكري، ٤٥.
(١١) ينظر: اسرار البلاغة: الجرجاني، ٢٥٩، مفتاح العلوم: السكاكي، ٣٥٨- ٣٥٩، كتاب التعريفات: علي الجرجاني، ٢١٤.
(١٢) الخصائص: ابن جني، ٢٠٨/٢.
(١٣) الإتقان: السيوطي، ١٠٧/٣.
(١٤) ينظر: المصدر نفسه، ٩٦/٣.
(١٥) الحشر: ٢٢.
(١٦) يس: ٧٨.
(١٧) ينظر: الإتقان: السيوطي، ٩٤/٣.
(١٨) ينظر: البرهان: الزركشي، ١٥٨-١٥٩، الاتقان: السيوطي، ٩٤/٣، مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، ٣٢٩- ٣٣٣.
(١٩) اسرار البلاغة: الجرجاني، ٢٨٧.
(٢٠) مجاز القرآن: د. محمد الصغير: ٦٢.
(٢١) النظام القرآني: عالم سبيط، ٩٩.
(٢٢) ينظر: المصدر نفسه، ٩٩- ١٠٠، الحل القصدي للغة: عالم سبيط، ٦٩.
(٢٣) اسرار البلاغة: الجرجاني، ٢٩١.
(٢٤) النظام: عالم سبيط، ١٠٠.
(٢٥) إبراهيم: ٢٥.
(٢٦) ينظر: لسان العرب: ابن منظور، ١٣/١٤، القاموس المحيط: الفيروز آبادي، ١٢٦/٤.
(٢٧) ينظر: المصدر نفسه، ٩/١٣.
(٢٨) ينظر: الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، ٣٥.
(٢٩) التبيان: الطوسي، ٢٩١/٦.
(٣٠) اسرار البلاغة: الجرجاني، ٢٨٤.
(٣١) ينظر: البرهان: الزركشي، ١٦٠، المجاز في القرآن: د.الصغير، ١٢٥.
(٣٢) ينظر: التفسير الأصفي: الكاشاني، ٦١٧/١.
(٣٣) الصورة الفنية: د.الصغير، ١٥٩.
(٣٤) الكهف: ٨٤.

(٣٥) ينظر: النظام القرآني: عالم سبيط، ١٠٣.
(٣٦) الأعراف: ١٢٣.
(٣٧) النور: من آية ٣٦.
(٣٨) النبأ: ٣٨.
(٣٩) ينظر: لسان العرب: ابن منظور، ٦١٨/٤.
(٤٠) ثلاث رسائل: النكت في إعجاز القرآن، ٨٥.
(٤١) ثلاث رسائل: دلائل الإعجاز، ٢٨٤.
(٤٢) مفتاح العلوم: السكاكي، ٣٩٦.
(٤٣) جواهر البلاغة: الهاشمي، ٢٦٤، ظ: أصول البيان: د. الصغير، ١١١، كتاب التعريفات: الجرجاني، ١٧.
(٤٤) جواهر البلاغة: الهاشمي، ١٢٠/٣.
(٤٥) النظام القرآني: عالم سبيط، ١١١.
(٤٦) المصدر نفسه، ١١٢.
(٤٧) النحل: من الآية ١١٢.
(٤٨) تلخيص البيان: الشريف الرضي، ٩٦، ظ: التبيان: الطوسي، ٤٣٣/٦، التفسير الأصفي: الفيض الكاشاني، ٦٦٤/١.
(٤٩) الكشاف: الزمخشري، ٤٣١/٢.
(٥٠) النظام: عالم سبيط، ١١٣.
(٥١) المصدر نفسه، ١١٤.
(٥٢) ينظر: لسان العرب: ابن منظور، ٢٣٣/١٥، مختار الصحاح: محمد بن عبد القادر، ٢٩٨.
(٥٣) مفتاح العلوم: السكاكي، ٤٠٢.
(٥٤) ينظر: البرهان: الزركشي، ١٨٦/٢، كتاب التعريفات: الجرجاني، ١٥٣، جواهر البلاغة: أحمد الهاشمي، ٢٩٧.
(٥٥) ينظر: جواهر البلاغة: الهاشمي، ٢٩٧.
(٥٦) النظام: عالم سبيط، ١٢٠.
(٥٧) المصدر نفسه، ١٢٠-١٢١.
(٥٨) المصدر نفسه، ١٢١-١٢٢.
(٥٩) البقرة: من الآية ٢٢٣.
(٦٠) البقرة: من الآية ١٨٧.
(٦١) الأحزاب: من الآية ٥٣.
(٦٢) لسان العرب: ابن منظور، ١٥٣/٢.

(٦٣) معاني القران: النحاس، ١٣٢/١.
(٦٤) مفردات غريب القران: الأصفهاني، ١٩٩.
(٦٥) النظام: عالم سبيط، ١٢٢.

قائمة المصادر والمراجع

خير ما نبتدأ به القرآن الكريم

١- الإتقان في القرآن الكريم: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحق: أحمد بن علي، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٢- اسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تحق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٣- أصول البيان في ضوء القرآن الكريم: د. محمد الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤- اعلام حليون: د. صباح نوري مرزوك، اتحاد الأدباء والكتاب في العراق- فرع بابل.

٥- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين بن محمد الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحق: محمد ابو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

٦- التبيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٧٨م، تحق: أمد حبيب قصي العاملي.

٧- التفسير الأصفي: الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، تحق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٨هـ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي.

٨- تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي، مؤسسة وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ.

٩- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، ط٣، دار المعارف بمصر.

١٠- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السد أحمد الهاشمي، المطبعة: الأمير، الناشر: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ط١، ١٣٧٩هـ.

١١- الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية: عالم سبيط النيلي (ت: ٢٠٠٠م)، دار المحجة البيضاء، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م، بيروت- لبنان.

١٢- الخصائص: عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحق: د.عبد الحميد هنداوي، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

١٣- الصورة الفنية في المَثَل القرآني: د. محمد حسين علي الصغير، دار الهادي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٤- الفروق اللغوية: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت: ٤٠٠هـ)، تحق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٥- القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة: القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، دار العلم للجميع، بيروت- لبنان.

١٦- كتاب التعريفات: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، دار إحياء التراث العربي.

١٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، مطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ط الأخيرة، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م.

١٨- لسان العرب: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم- ايران، ١٤٠٥هـ.

١٩- مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٧٧م.

٢٠- مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، د. محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢١- مختار الصحاح: محمد بن عبد القادر.

٢٢- معاني القرآن الكريم: أبي جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، تحق: الشيخ محمد علي الصابوني، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٣- مفتاح العلوم: أبي يعقوب يوسف السكاكي (ت: ٦٢٦هـ)، تحق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٤- المفردات في غريب القرآن: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ)، تحق: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ط الأخيرة، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.

٢٥- النظام القرآني: عالم سبيط النيلي، منشورات: ذوي القربى، ط١.

شبكات الانترنت:-

١- شبكة البرلمان العراقي العام.

٢- شبكة مقهى الكتاب والمثقفين.